Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.22, Issue: 2015

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور- باكستان.
العدد الثاني والعشرون، 2015م.

دور القرآن الكريم في نشر اللغة العربية وبقائها

رانا أمان الله
محاضر في كلية اللغة العربية وآدابها
الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد

ABSTRACT

Role of Holy Qur'an in
Dissemination of Arabic Language and its Survival

Each language has its life, after which it dies away. But Arabic language has survived even after a long period. This is because Holy Quran was revealed by Allah in Arabic. Quran will remain live till the Day of Judgment, so will Arabic language survive for ever. Quran has proved to be a blessing for Arabic language. Arabic language is in fact like a utensil which carries the great and deep meanings of Quran. The interest of the Muslims in Quran all over the world has created in them interest for Arabic language, so Arabic has become a universal language.

Quran added new meanings and innovative styles to Arabic language and thus the Arabic language was enriched with a new heritage and beauty. It has endowed Arabic language with stability and consistency. All researchers agree that Quran is the primary protector of Arabic language and has saved it from diminishing. It has

helped in unification of its dialects by establishing the supremacy of the dialect of Quraish. Besides, Quran introduced new sciences and innovative vocabulary in Arabic language, such as Hadith, Fiqh, Usool-ul-Hadith and Usool-ul-Fiqh; Linguistic Sciences, such as Grammar, Syntax, Rhetoric and Philology; Philosophical Sciences, such as Logic and Islamic Philosophy, Oneness (of Allah) and Theology etc. It is only because of the Holy Quran that the Arabic language has been transformed into World Language.

لا يختلف عاقلان في أن تعلّم العلم الشرعي ومعرفة أسرار كتاب الله عزوجل وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر واجب على كل مسلم مكلف عاقل، أجمعت عليه الأمة سلفاً وخلفاً .وبما أن مصدَرَيْ ديننا الحنيف الكتاب والسنة فقد أوحاهما الله باللغة العربية ولا سبيل إلى فهمهما وإدراكهما إلا بتعلم اللغة العربية، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .وإن قوماً تكاسلوا عن تعلم اللغة العربية كانت عاقبة أمرهم خسارة كبيرة، وإن اعتمدوا على الترجمات المختلفة لنصوص الكتاب والسنة، وجعلوها مطيتهم لفهم الشرع والتحدث باسمه .فيصبحوا ضحايا لسوء الفهم والتأويل والتفسير .فمن أراد أن يتفهّم القرآن والسنة فعليه بتعلم واتقان اللغة العربية يقول الله عز وجل في كتابه الكريم ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [3]، و قال أيضاً﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4] وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5] وقال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[6] وقال سبحانه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[7]

فهذه الآيات المباركة فيها دلالة واضحة على ربانية وعربية قرآننا، وسلامة اللغة العربية من التناقض والاعوجاج.

فالقرآن الكريم عربي المبنى فصيح المعنى، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات. أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ليكون معجزة من المعجزات الحسية والمعنوية إلى قيام الساعة .وكانت هذه المعجزة أعظم برهان على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .أنزل الله عز وجل هذه المعجزة على قوم أولي بأس لغوي وبياني شديد، وهذه المعجزة ناسبت حال القوم الذين برعوا فيه . كان مشركو مكة وما جاورها من الديار والقرى قد برعوا في العربية والفصاحة والخطابة والبيان وإليهم انتهت رياسة علم المعاني والبيان والبديع .وللقرآن الكريم الفضل الكبير على اللغة العربية كوعاء شرف يحمل معانيه العظيمة، وقد كان حرص المسلمين على القرآن الكريم هو الداعي لحرصهم على اللغة العربية ومقاومة ما قد يطرأ عليها من لحن، مما أدى إلى وقوف أولي الأمر واللغويين موقف المدافع.[8] يقول الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر، أستاذ التفسير والدراسات القرآنية في جامعة طيبة بالمدينة المنورة– رحمه الله تعالى– ولقد بلغ العرب أرفع مستوى عرفته الإنسانية في الفصاحة والبلاغة وارتقوا في ذلك فوق جميع الأمم مراتب ظاهرة فكان لإظهار الله تعالى القرآن على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الفوائد ما لا يساويه غيره من المعجزات، فإنه لو اقتصر الأمر على إظهار معجزات مادية على منوال قَلبَ العصا

حية أو إحياء الموتى، مما لم يألف العرب جنسه وليس لهم بحاله معرفة ولا بصيرة، لاحتمل أن يتوهموا أنهم إنما أعجزوا عن مثله لذلك السبب خاصة .فلما خص الله محمداً بالقرآن أبعدهم عن الوقوع في تلك الشبهة. فالفصاحة دأبهم ومفخرتهم، بها يتبارون ويصولون. فكان القرآن المعجز مما يعلمون مزيته لأول وهلة بيسير من التأمل. وهذه الطريقة السديدة في المعجزات عين الحكمة، فلا يحسن العدول عنها إلى غيرها. (9)

وقد تحدى الله عز وجل المشركين وكفار قريش، فرسان العربية والبلاغة الذين عارضوا النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أنزل عليه؛ تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بحديث مثله، أو بسورة مثل سور القرآن أو بمثل آية من آيات القرآن، ولكنهم عجزوا ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا إلى قيام الساعة .قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(10) وقال تعالى: ﴿أَمْ يقولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(11) وقال تعالى: ﴿أَمْ يقولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(12) وفي آخر المقام أثبت الله عز وجل العجز للجميع قائلاً: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.(13)

يقول الأستاذ محمد هاشم " :من المسلّم به أن نزول القرآن الكريم باللغة

العربية كان له أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة وتقوية سلطتها على الألسنة[14]، وتهذيبها وتنقيحها واتساع أغراضها التعبيرية وفنون القول فيها، ويبدو ذلك في تنوع المعاني والأخيلة والأساليب والألفاظ...كما يبدو تأثر العرب بأسلوب القرآن الكريم جلياً، إذ انطبعت في لغتهم العذوبة والفصاحة والجزالة، فإنه خالط قلوباً قاسية فألانها و طباعاً قاسية فهذبها، وأضفى على اللغة العربية عذوبة لفظ، ورقة أسلوب، وسماحة ترتيب، وقوة حجة، ورزانة منطق، ودقة أداء، وغزارة معنى...وكان من فضل القرآن الكريم على اللغة تهذيبها من الحوشية، والسير بها إلى السهولة والمتانة. ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق وأجود الأساليب، فإن المسلمين طالما رطبوا شفاههم بآياته في صلاتهم وعبادتهم، واستجلوا مظاهر الأدب الرفيع المعجز في عباراته وأمثاله واستعاراته ومجازه وكناياته وتمثيله...وقد جاء القرآن الكريم مخالفا لكلام العرب في الطريقة والمذهب وفي المنزلة والمصنعة، وان جانس لغتهم في المادة والتركيب، ولولا ذلك لذهب في كلامهم، وكان سبيله سبيل القصائد والخطب والأقاصيص وغيرها ...وكان مثله حينئذ مثل ما يبقى من أمور الإنسان، ولكن أبى الله لآيته واعجازه أن يكون كذلك، فأنزل القرآن حاوياً لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتميز...وكان بهذه الطريقة المعجزة سبباً في حفظ العربية واستنباط علومها، وكان أصل ذلك هو التحدي به الذي كان من حكمته أن ينظر العرب في أساليب القرآن ووجه نظمه، ليتدبروا طريقته، ويجربوا عليها أنفسهم ويحملوها على الاتيان بما تحداهم به إن استطاعوا، حتى إذا استيقنوا العجز من أنفسهم، وأجمعوا عليه مع توفر الدواعي وقيام الحاجة إليه...وهكذا أضاف القرآن الكريم معاني جديدة وأساليب لغوية لم يعهدوها، وتراكيب غير مألوفة على سمعهم، إلى غير ذلك مما أكسب اللغة العربية ثراء ودقة وجمالاً.[15]

وقد أكسب القرآن الكريم اللغة العربية بقاء وثباتاً إلى قيام الساعة والحمد لله أولاً وآخراً .وبجانب كون القرآن الكريم حافظاً أساسياً للغة العربية من الضياع، فقد أجمع العلماء والباحثون على كون القرآن أيضاً حاوياً وحافظاً للهجات العربية الأصيلة من الانقراض من خلال اشتمال القرآن الكريم على القراءات القرآنية المتواترة والشاذة والتي رواها لنا الثقات من القراء الأجلاء مشافهة بالتواتر جيلاً عن جيل إلى يومنا هذا. ففي هذا الكنز العلمي العظيم يظهر فضل الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً للعالمين، وأن مصير اللغة العربية والمسلمين مرتبط بمصير الدين الإسلامي ومدى تمسك الناس بشرائعه وأحكامه و أوامره ونواهيه.

ومن أهم ما أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية من آثار أذكر ما يلي:

1. المحافظة على اللغة العربية من الضياع

إن أثر القرآن الكريم على اللغة العربية كان بالغاً للغاية من حيث المضمون والشكل .فنصوص القرآن نصوص مقدسة وسرمدية إلى قيام الساعة، فبقاء النصوص القرآنية بقيت اللغة العربية حية نابضة فعالة إلى يومنا هذا .لقد أشار الدكتور يوسف الشربجي إلى بعض الأسرار وراء خلود اللغة العربية " :أن السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الإحَنَ والضغائن والأحقاد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات

والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها، ويذود حياضها، يقرع أسماعهم صباح مساء...فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا أن كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأن النيل من اللغة العربية هو نيل من القرآن، ولذلك فإن بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن، لأن الدفاع عنه – لكونه أصل الدين ومستقى العقيدة –يستتبع الدفاع عنها لأنها السبيل السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع أحد. (16)

أولاً: بقاء اللغة هذا الأمد الطويل، فالتاريخ يحدثنا عن أمم كثيرة، سادت حتى ملكت، وضعفت حتى أمحت، وقد كان لتلك الأمم لغات سايرت حياتها السياسية جنباً إلى جنب، وكانت مرآة تنعكس عليها صور وجودها وألوان حياتها، فرقيت برقيها، وضعفت بضعفها ثم أصبحت يعرفها التاريخ كما يعرف الشيء،: عفت آثاره ودرست معالمه.

أما بقاء العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله فهو راجع للدفاع عن القرآن، فاللغة العربية كغيرها من لغات الغير، خاضعة للزوال والفناء، لكن القرآن الكريم هو الذي حفظها من الضياع.

ثانياً: توحد لهجاتها وزوال تناكرها، فلهجات العرب كثيرة متباينة منها الرديء المستكره تعزف عنه النفس، وينفر منه الطبع، ومنها الفصيح المقبول، يحسن وقعه في السمع ويخف نطقه على اللسان، وإنما كان هذا التعدد بطبيعة تفرقهم في المكان فبقي هذا التناكر في اللغة حتى مجيء الإسلام إذ نزل القرآن باللغة القرشية التي انتقت من لغات القبائل الوافدة إليها ما عذب لفظه وخفّ وقعه، فكان لزاماً على كل مسلم

دراسة هذه اللغة التي أصبحت لغة رسمية للإسلام كونها لغة القرآن.

ثالثاً: جعلها لسان الدولة الإسلامية، فلم تعن أمة من الأمم قبل الإسلام باللغة العربية، تعالج آدابها، ونتعرف تاريخها، ولأن اللغة العربية لم تكن لغة علوم ومعارف لم يكن فيها ما يحمل الأمم على معرفتها حتى يستفيدوا علماً، ومعرفة، وحتى كان الإسلام وكانت الفتوحات الإسلامية التي دخلت معها اللغة فأصبحت لسان الدولة الإسلامية، بل كانت حديث المشرق والمغرب.

رابعاً: اعتمد العرب على الفصاحة في لغتهم العربية على البادية، لكي يتجنبوا الوقوع في الأخطاء، واللحن، وكان من الأفضل لهم الاعتماد على القرآن الكريم وفهمه ودراسة علومه الدينية والشريعية والفقهية. لأن هناك في البادية مجموعة من القبائل تختلف لهجاتهم من قبيلة إلى أخرى

2. تقوية اللغة والرقي بها نحو الكمال

لا يشك عاقلان في كون القرآن الكريم مصدر طاقة وقوة وحيوية للغة العربية، و لولا هذه الطاقة الربانية والقرآنية ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة يقول العلاّمة الرافعي رحمه الله:

"نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفا اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب،

وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها.[17]

وقد أشار الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر في هذا الصدد إلى بعض الآثار القرآنية الأخرى على اللغة العربية، أرى من الفائدة ذكرها باختصار، حيث قال رحمه الله:

1- استنقذ القرآن المجيد العرب من شتات اللهجات القبلية الكثيرة، فعمل على تقارب اللهجات وائتلاف ألسنة أهلها بالنطق بأفصح اللهجات العربية...

2- هذب القرآن اللغة العربية من الحوشي والغريب فأحالها إلى لغة صافية شفافة جذابة...

3- أدخل القرآن الكريم على العرب معاني جديدة ما كانوا يعرفونها ولا يعرفون التعبير عنها[18]، فهناك ألفاظ ابتدأها القرآن الكريم ابتداء كالإسلام والإيمان والفرقان والشرك والكفر والنفاق والصوم والصلاة والزكاة...، وهناك المضامين الحسية الشيقة الخالدة، مثل لفت النظر إلى ملكوت السموات والأرض، واشتقاق الأدلة العقلية الملزمة مثل البراهين الدالة على وحدانية الله وعظمته و قدرته ووجوب عبادته وحده لا شريك له...، فالقرآن العظيم نزل في مائة و أربع عشرة سورة أنزلها علام الغيوب بياناً فريداً بديعاً معجزاً في عبائره ومعانيه، في شكله و محتواه على حد سواء...

4- اعتاد العرب على مواسم وأسواق كانوا يقيمونها في مواطن من جزيرتهم...،حتى صار كل سوق مجمعاً أدبياً لغوياً رسمياً له مُحَكِّمونَ تضرب لهم القباب...،وكثيراً ما تنشب بين فرسان البيان منافسات حامية الوطيس ينقسم فيها أهل الأدب إلى جهات متخاصمة...،وتتشابك فيها الحجج والدلائل...،دون أن يقدم التحكيم فيها قولاً حاسماً يفض المنازعات البلاغية إذ كانوا يعتمدون على الذوق والفطرة السليمة، ولم يكونوا مجمعين على نموذج أدبي أعلى يتخذون مقياساً في تمييز الأفصح والأبلغ، وبالتالي لم تكن لديهم قواعد وضوابط بيانية يجديهم الرجوع إليها فتيلاً فكانوا يذهبون في ذلك مذاهب شتى.

5- لا تزال آثار القرآن البليغة تترى في ألوان الأدب العربي؛ شعراً ورجزاً وحكمة وخطابة ونثراً .إذ ظهرت فيها جميعاً تعابير وصور، بعضها مقتبس من القرآن وبعضها يصطبغ بصبغته وينسج على منواله .أما الموضوعات فبعضها جديد بالكلية كالتصوف والزهد، وبعضها دخله التجديد والقوة والحيوية كالحماسة، لكن جميع الموضوعات تأثرت بالقرآن تأثراً بيناً لا مراء فيه[19]، إذ ظهرت فيها قيم جديدة كثيرة روحية وعقلية واجتماعية وإنسانية مستقاة من القرآن بحرص مرهف وتقديس ظاهر.

6- سيطر القرآن على الملكات الأدبية واجتذب اهتمامها وعنايتها...،فلا جرم أن الفضل في نشوء علوم اللغة ونموها وازدهارها عائد إلى القرآن المجيد ذاته. فالقرآن هو الحاكم المهيمن على هذه العلوم، والكلمة منه حجة لها أو عليها و ليس لها من سبيل عليه وهذا أمر جلي واضح .ومن عجب أن يتوهم بعض الجهلاء غير ذلك، فيتشدقون مفتعلين إشكالات بين نصوص القرآن العظيم وقواعد اللغة العربية !! وذلك لأنهم غفلوا أن ليس عليه من سلطان و أنه هو المهيمن عليها الحاكم فيها ! فالشاهد القرآني هو الحكم الفصل بين مختلف الآراء في كافة علوم اللغة...، وتوالت

التصانيف بعدئذ من (نظم القرآن) للجاحظ، و(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني وغير ذلك كثير.

7- يتضح لك ولكل باحث أن القرآن هو جذوة حركة النقد الأدبي عند العرب وأنه الباحث الرئيسي الموجه لها وللد ا رسات البلاغية كافة .فإن تأملت الدراسات النقدية ومقاييسها في فنون القول تجدها جميعاً قد خضعت للنهج القرآني الذي أظهرته دراسات إعجاز القرآن المبين.

3- توحيد لهجات اللغة العربية

من المعلوم أن لهجات اللغة العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، حتى إن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولا شكّ أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد عثمان رضي الله عنه قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية" :إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلغتهم "وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها.

ونجد الإمام السيوطي رحمه الله ينقل عن الإمام الواسطي قوله مبيناً فضل لهجة قريش على بقية اللهجات العربية في جزيرة العرب ...." :لأن كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب .ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أن ألسنتهم انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن يزيدها حسناً، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقالوا على الرغم من أنفهم" :إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه[20]. ولم يزل المسلمون يقبلون عليه ويتلونه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، حتى صاروا

بفضل القرآن خير أمة أخرجت للناس، ينطقون لغة واحدة عربهم وعجمهم، وكان بذلك جامعاً للعرب والمسلمين على لغة قريش وما يقاربها، وليس بينهم هذا التفاوت والاختلاف في اللهجات كما كان قبل نزول القرآن، وبذلك دخلوا في مرحلة تاريخية فريدة هي توحد لغتهم وألسنتهم فيما بين بعضهم البعض بل وعلى مر العصور وكر الدهور.[21]

4- تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية

من المعروف أن اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن ويذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم[22]، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبرح إلا لتعود إليها .وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، والقرآن الكريم ضمن لها الحياة الطيبة والعمر الطويل، فها هي حية قوية، ينطق بها الملايين عالمياً .ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة.

5- أحدث فيها علوماً لم تكن لتوجد لولاه

مثل :علوم تشريعية كالحديث والفقه وأصولهما، وعلوم لغوية كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة، وعلوم فلسفية كالمنطق والفلسفة الإسلامية والتوحيد وعلم الكلام وغيرها من العلوم.

6- جعلها تتفوق على كثير من لغات الأقوام التي جاورها العرب

بل وغير العرب أيضاً، كما هو مشاهد وملموس اليوم عندما نقارن العربية بلغات أخرى مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها.[23]

نخلص من هذا الكلام في نهاية هذه الورقة أن فضل القرآن الكريم وتأثيره البالغ لم يكن على اللغة العربية في الحفظ والإثراء فحسب، وإنما كان على الكون والخلق والعالمين أجمعين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

*_*_*

الهوامش المصادر و المراجع

(1) سورة الشعراء، الآيات: 192-195.

(2) سورة الشورى، الآية: 7.

(3) سورة طه، الآية: 113.

(4) سورة فصلت، الآية: 3.

(5) سورة يوسف، الآية: 2.

(6) سورة الزخرف، الآية: 3.

(7) سورة الزمر، الآية: 28.

(8) جبري، عبد الله عبد الناصر؛ لهجات العرب في القرآن الكريم – دراسة تحليلية، دارالكتب العلمية، ط1، لبنان 2007، ص 206.

(9) عتر، حسن ضياء الدين؛ المعجزة الخالدة، دار نور المكتبات، جدة، ط4، 2005، ص 110.

(10) سورة البقرة، الآية: 23.

(11) سورة يونس، الآية: 38.

(12) سورة هود، الآية: 13.

(13) سورة الإسراء، الآية: 88.

(14) انظر للمزيد
http://arabicbayyan.org.ib/nacharatbayyant/idaaat/idaat218.htm.

(15) للمزيد حول هذه المسألة انظر: لهجات العرب في القرآن الكريم – دراسة استقرائية تحليلية، ص 210، وانظر أيضاً: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن باقوري، دارالمعارف، مصر، ط د، ص 28-32.

(16) الرافعي، صادق، تاريخ آداب العرب، ط2، دارالكتاب العربي، بيروت 1974م ج2 ص 74.

(17) المرجع السابق، وانظر أيضاً: الجندي، أنور؛ اللغة العربية بين حماتها وخصوماتها، ط.

مطبعة الرسالة، بيروت، ص 25.

(18) انظر للمزيد حول هذه المسائل: مجلة البحوث والدراسات القرآنية – مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه تصدر مرتين سنوياً، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد (الرابع) السنة الثانية 1428هـ، بحث الدكتور صالح بن محمد آل أبو بكر الزهراني، بعنوان: أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، ص 126-176.

(19) للوقف على سر الأساليب القرآنية صرفياً ونحوياً ... انظر دراسة وموسوعة الأستاذ الدكتور عبد الخالق عضيمة رحمه الله، الأستاذ بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، بعنوان: دراسات لأسلوب القرآن (11 عشر مجلداً)، فإن فيها خيراً كثيراً وفوائد حميدة واستدراكات وملاحظات كثيرة على النحاة واللغويين القدامى وذلك من خلال الشواهد القرآنية، ط1، 1373هـ، مكة المكرمة، والذي قال عنها المحقق الكبير الشيخ محمود شاكر رحمه الله: "... ولم يسبقه أحد في هذا العمل، ولا أن أحداً من أهل زمانه كان قادراً عليه بمفرده، بسبب الصبر والجلد ومعرفة وأمانة في الاطلاع ودقة في النقل.. .

(20) كلام عتبة بن ربيعة عندما قرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أوائل سورة فصلت، انظر تفسير ابن كثير، ج 3، ص 150.

(21) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مصر، ج 1 ص 129.

(22) انظر أيضاً :مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – مجلة علمية محكمة، العدد 144، السنة 41، 1429هـ، بحث الدكتور عبد العزيز بن صالح العمار، بعنوان : التفسير البلاغي لسورة الإخلاص والمعوذتين، ص 313-370.

(23) انظر http://www.nayli.com/vb/showthread.php?t=9862.

* * *